

# أثر الترجمة في تكوّن البلاغة المعاصرة

حسين فريدة

«لا يجد القراء قرداً تائماً إلا عندما تلبى ثواب البشر»

## مثل هندي

الاّثر الذي سأتكلّم عليه هو هذا الذي تلمّسه في قطعة افتراضية كالالتالي: «زوجة في فنجان».

«... ولم يتخلّد الارهابي أبداً خطوات ايجابية، بل ادلّ بصريح شديد اللهجة هاجم فيه بعض المصطادين في الماء العكر، وحذّرهم من محاولة التأثير عليه ثم كرر موقف منظمته من القضايا المطروحة على سطح البحث وقال إنها مصممة، بالرغم من كل شيء، على ...»  
الترجمة التي أقصدها هي هذه التي بدأت مع الطهطاوي في النصف الأول من القرن التاسع عشر. لذلك سأبدأ بتأصيل هذا الاّثر في بداية حركة الترجمة، منذ أوائل النصف الحديث، وألمّ بظروفها قبل أن أبسط النهج الذي انتهجه في هذه المحاولة. أما ما أقصده «بالبلاغة المعاصرة»، فمجموع طرق التعبير الشائعة اليوم في مستوى لغوي أحدهذه من بعد.

\* \* \*

## - بداية الترجمة.

لنتوقف طويلاً عند ترجمة الطهطاوي لسبيّن: الأول بدجبي وهو أن كتابته لم تعد معاصرة. أما السبب الثاني (وهو يفسر الأول) فلأن كتابته التي جاءت تلقت الانظار إلى الغرب، بقيت وفية بالجملة لأصول البلاغة الكلاسيكية ولم يتعدّ أثر الترجمة فيها ابتداع عبارات صارت شائعة مثل: «الخرابة الشخصية» (تلخيص، ص 83<sup>(1)</sup>) حيث اكتست لفظة الحرية دلالة جديدة هي غير ما كانت عليه من كون المرء ليس عبداً. ومعلوم أن تغير دلالة الانفاظ على مر القرون أمر مشهور في اللغة ولا مدخل له في أصول التعبير العامة المتوارثة، ولا في طرز التعبير في عصر من العصور، ولا في أسلوب التعبير الشخصي المميز لهذا الكاتب أو ذاك.

معلوم أن الكتاب المقدس قد ترجم إلى العربية بضم مرات<sup>(2)</sup> منذ 1591، إلا أن هذه الترجمات صدرت في أوروبا وظلت محدودة الانتشار، ولذلك نجهل أثراًها على البلاغة العربية. ولا يسعنا أن نطلق الحكم نفسه على الترجمة التي مات دون إنجازها إيلٍ سمعت، ثم أكمّلها كريستيان بايل من بعده، بالتعاون مع بطرس البشّاني ونناصيف اليازجي. فقد طبعت هذه الترجمة في لبنان ووافق انتشارها حدوث تغييرات في العالم العربي منها ما كان سبب إيفاد رفاعة الطهطاوي إلى باريس، ومنها ما نتج عن عودته بأفكار الحرية والتحرر. لقد دخلت الطباعة إلى هذا العالم وزاد عدد المدارس والمتعلمين والقراء والكتاب.

كان فاندابيك يعرف العربية الكلاسيكية، وكان يعرف، ولا شك، ما النص الإمام الذي ياتم به كتابها. ربما كانت هذه المعرفة بالذات، وربما أيضاً.

(1) مأكثني بين مطان الشواهد هنا وأنرك وصف أصولها البيلوبغرافي إلى آخر البحث.  
Kenneth Bailey. The Arabic Versions of The Bible, Theological Review Beirut, V2. 1982. P 155. (2)

معروفة بالترجمات العربية الأخرى، هي التي أوحىت إلى هذا المبشر الحصيف بوضع الترجمة الجديدة في حالة عربية أصلية ترضي ذوق القارئ العربي ولا تبتعد عن أصول البلاغة. فقد اختار فاندابيك يوسف الأسير، أحد أركان «ثالوث الفصحى» في القرن التاسع عشر، كما وصفه مارون عبود<sup>(3)</sup>، ليماونه في وضع أسلوب الكتابة. وما سلّل عن ذلك قال: «أريد شخصاً لا يعرف أي شيء عن الكتاب المقدس». ذلك لأنّه كان يخشى أن تؤثر معرفة الأصل السابقة في اختيار الألفاظ والجمل وتصرف الانتباه عن كتابة قطعة لافتة باللغة العربية. وقد جرى قلم المؤرخ الأزهري في النص وترك فيه لمسات إسلامية، إنّم نقل قرأتية، واضحة منها وصف داود «بامام المغنين» (المزمور 109)، واستعمال «حنان رحيم» في صفة الله في المزمور 111، واستعمال «لحمنها وفرشها» و«فرضية» (لاوين 16: 27، 32). لذلك ربّما كان الكتاب المقدس الكتاب المترجم الوحيد الذي لم يترك أثراً في الأحوال الصرفية للكلمات أوفي استعمالاتها أوفي لدالاتها<sup>(4)</sup> عند من أقبلوا على قراءته أو الاستعارة من كلامه أو تقليد مناخاته. فقد ظلت مبادى الكلمات، في هذا النص، وعلاقاتها النحوية واستعمالاتها ولدالاتها أصولية. ولكن كانت لا تضاهي في تأليفها روعة الشعر العربي المطبوع ولا بيان النثر العربي الأصيل فهي لا تجافي أصول اللغاية المتعارفة.

وقد تركت هذه الترجمة في البيان العربي المعاصر بعض الأمثل وموارد التعبير ذكر منها: لا جديه تحت الشمس، كبس المحرقة، ملح الأرض<sup>(5)</sup>؛ قبض الريح<sup>(6)</sup>؛ ورق التين في قول نعيمة: «نحيط لنا ثياباً من ورق التين» (الغribal، ص 46؛ أو قدس الأقدس في قوله: «شخصية الكتاب أو الشاعر هي قدس الأقدس» (الغribal، ص 10، 34).

توقفنا عند ترجمة هذا الكتاب لأنَّه أكْبَر الكُتُب المُتَرْجَمَة في الْقَرْن الْمُاضِي وأَرْوَجَهَا بَيْنَ الْقَرَاءِ، وَلَأَنَّهُ أَيْضًا مِنْ أَبْعَدِهَا أثْرًا فِي شِعَرِ الْقَرْنِ الْعَشَرِينَ، لَا أَنَّهُ أَوَّل كَتَابٍ تَرَجَمَ، فَقَدْ تَرَجَمَ الطَّهْطاوِي كِتَابًا قَبْلَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ أَحَدٌ مِنْ تَرَجُّهَا إِلَى مَا تَلَفَّتْ إِلَيْهِ فَانْدَلِبَكَ مِنْ احْتِرامٍ لِلْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: رِبَّا لَأَنَّهُ مُشَرِّبٌ غَرَبِيًّا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَهْلِكَ الْعَرَبَ وَلَانَّغِيرَهُ مِنَ التَّرْجِينِ عَرَبَ اسْتَطَارَهُمُ الْغَربُ فَاخْتَدُوا (يَضْعِفُ الْمُهْرَةُ) بِالسَّالِبِ لِغَانِهِ.

## - ظروف الترجمة.

يقول اسماعيل مظہر في مقالة نشرها سنة 1928: «سمعت مرة أحد كبار رجال التعليم أنه من الممكن الاكتفاء بقليل من (الافتدية) الذين يغرسون الخطابات في وزارة المعارف ليقوموا بهمزة الترجمة العلمية. ويکاد يكون هذا القول مثالاً لما يقام في أذهان الكثيرين من رجال التعليم عندها فيما هي الترجمة العلمية»<sup>(7)</sup>. وبعد حوالي ستة من هذه المقالة نسمع د. محمد شرف يقول: «وقد سار معربوها هذا الزمن ومتوجه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتعد هذا أسلوبياً جرى عليه خالقه في غيره، واستنـ آخر ستة لم يسايره عليها أحد، وصار كل معرب يضع لنفسه منهاجاً لتصویر الالفاظ والمعاني او لتعريفها، وانطلقت الأقلام والألسنة بالاعنة، ووضعت اوضاع وصيغت الفاظ بطرق مختلفة لا تؤدي المقصد منها، وسط المعربون عن الصواب شططاً بعيداً. وجاء فيها ظهر من الكتب العلمية العربية والتي تدرس في مدارس الحكومة أو ما نشر في الصحف اليومية والمجلات خلط كبير»<sup>(8)</sup>. تلك كانت الحال ولم يكن أحد يتظر دعوة بمخاليل نعيمة، في أوائل العشرينيات، إلى الترجمة أو تبيئها على ضرورتها<sup>(9)</sup>. ففي ذلك الوقت، لا بل من قبيله كان طلب الجديد قد ازداد وصار ملوفقاً. وعمل كثيرون من المترجمين في جو من الارتجال وضياع العمل المعمجي وقلة الالكترات بالأصول، ولكن واحد من هذه الثلاثة أثره في الثاني. سأبدأ بالاول لأنه لازم عن الآخرين.

فاما جو الارتجال فقد قدّمت لك وصفة، ولا أجد ما أزيد عليه إلا قول أحد فارس الشدياق، قيل ذلك بحوالي قرن، فيها كان يعانيه من الترجمة، وفي قوله بعض المذكرة للارتجال:

أرى الف معنى ماله من مجابر،  
والفلا من الألفاظ دون مرادف  
لدينا والفال ما له ما يناسب  
ونصلاً مكان الروصل والروصل واجب<sup>(10)</sup>

لما زالت هذه حال صقر لبنان، وهو من هو في معرفة شوارد اللغة فما ينقول في غيره عن لا حظ له من البلاغة ولا اطلاع على الماجماع؟ وأما ضعف العمل

(3) رواد النہضة الحدیثیة، بیروت، ص 72.

(4) سيتضمن هذا الكلام أكثر في ضوء ما نبيه من أنواع الترجات الأخرى من بعد.

(5) عنوان رواية لصلاح دهن، دمشق، 1972.

(6): *vk bk mibf bfybudi wf bactv helb kdi bchbunyū*, 1984.

(6). УКЛІК НІЖІР ОВЛАДАДЫҢ АГЕНТСТВОЛЫККА НЕДЕРДІКІСІНДЕ 1984-

(٤) في استهداف الأدب، دار نجفية أحياء، بيروت، ١٩٦٣، ص ٨٩ - ٩٠.

(8) اللغة العربية والصطلاحات العلمية، المقطع، 1929، ج 2، المجلد الثاني.

(٩) اشاره الى مقاله صغيرة لعمیه بعنوان «الشجرة الغرباء»، ص ١٠٤.

المجمعي ثامر لا تزال نعاني منه حتى اليوم<sup>(11)</sup>. فالملاجم العربية المعاصرة مقصورة عن مجازة مستحدثات اللغة من جهة المفردات ومن جهة التعريف والاستعمالات والتراكيب، ولا يكاد الكاتب يجد ما يحتاج إليه من هذه الأغراض إلا في معجم عربي أجنبي، هذا إذا كان يجيد لغة أجنبية. فهذا هذا، وأما الاستخفاف بسلطة الأصول اللغوية فبعضه يرجع إلى السبب السابق، وبعضه إلى سكرة تصيب المطلع على اللغات الأجنبية إذا أدرك ما وصفه الشدياق، فيقوى ظنه بأن الكلام كلام متراصف وليس كلاماً متناظراً حسب الأصول، وإن تلك السلطة إنما أريدت، في أحسن الأحوال للتغيير عن غير ما يبني نقليه إلى العربية، وفي أسوأ الأحوال عن دون ما قد وصل إليه من العلم<sup>(12)</sup>. فيستخفُ الكثيرون فيستخفُ هو بالأصول ويتعنت في التعبير كيما هو، ثم يمتنع على الناس بأنه إنما يوضح ذلك بالعربية ابتناء التهروض باسم العرب.

كان من أثر هذه الترجمات دخول مئات الألفاظ المغربية، وكان هذا الدخول حافزاً لغير قليل من اللغويين. فهو من تصدى للدخول مترجم إيه أو مهدئاً ما وضع له من مقابلات على قدر الوعم والطلاقة، وعقدت لذلك مجتمع لغوية وانشىء مركز خاص لتنسيق التعريف تابع للجامعة العربية (قل من ينظر في اتجاهه من الكتاب أو حتى من صناع الملاجم). ولكن هذه المبة تناولت اللغة من حيث المفردات لا من حيث أصول التركيب والاستعمال.

كان الشدياق سباقاً إلى التبه بعد ثأثير الترجمة في البلاغة العربية إذ قال:

### وفصلاً مكان الوصول للوصول واجب

أساليب إطباب لوعي المطالب

### وأسلوب ايجاز إذ الحال تقتنصي

فقد وقع الكثيرون من جيل الترجمة الأولى في ما خاف من ارتکابه الشدياق واجتهد في اجتنابه. ثم ما لبث أن جاء جيل جديد من المترجمين، جيل نشأ على مذهب متوسط بين أسلوب الأزهر في دراسة النقد والبلاغة وبين أسلوب «النقاد ومؤرخي الأدب»، حين يعرضون للدرس الأداب الأوروبيية الحية أو الأداب الأوروبيية القديمة. .... [مذهب] يحاول أن يقتدى الأوروبيين فيما يسمونه تاريخ الأدب، فيعمد إلى الكتاب والشعراء، والخطباء والفلسفه فيترجم لهم أو يختلس لهم ترجمة من كتب الطبقات على اختلافها، ثم يتعجب كل ترجمة شيء من شعر الشاعر أو نثر الكاتب أو بيان الخطيب، ثم يلم في كل عصر بطلاقة من المعانٍ يلتقط بعضها إلى بعض في غير فقه ولا فهم ولا احتياط ولا دقة، وسيمي هذا الخليط كله «أدب اللغة العربية» حيناً وتاريخ أدب اللغة العربية حيناً آخر<sup>(13)</sup>. رواح هذا الجيل (وانا منه) الذي نشأ على كتابة كتابة تربت إلى أسلوبهم من الترجمة أمر عظيم، ينحو فيها يكتب (او يترجم) نحو هؤلاء الكتاب فزيادة الخلط حتى صار وجه العربية المعاصرة لا يشبه، لو قيس له من يرسم ملامحه، وجه العربية في شيء.

والترجمة اليوم لم تعد مقصورة على المترجمين، ولا حتى على مترجمي الكتب. إذ إن ما يتكون منه معظم كلام<sup>(14)</sup> الصحف والإذاعة إنما هي «آباء» تنقلها وكالات الأنباء العالمية التي يعلم من لها آدمي معرفة. في عالم الصحف أنها تستورد برقائق باللغة الأجنبية، وتستخدم لترجمتها اخشاوصاً يسابقون الزمن ويتابقون لتحسين مواردهم المالية، فلا يهمهم ، مفي صحت ترجمتهم ، من أمر المقال وشكله هم لا من قريب ولا من بعيد . وكان باسماعيل مظفر إبراهيم كان يعني عندما وصف أسلوب سلامة موسى فقال: «أنه أسلوب عامي ليس فيه من الأساليب العربية عين ولا اثر. على أنه يكفي لأن ينبلج لك في كلمات عربية وكل ترتكب من الفتاوى عربية فكره محول في رأس صاحبها<sup>(15)</sup>.

هذا عن الترجمة المقصودة. ولكن ثمة ترجمة من نوع آخر انقضى ظهورها، وإن لم تكن أقل خطأً من الترجمة المقصودة في تشكيل البلاغة المعاصرة: تلك هي الترجمة العنفية. أعني بهذه الترجمة التي تلقي كتابة من ترب في الغرب أو تلقي علومه في المدارس أو الجامعات الغربية أو التي توبي اللغة الأجنبية والثقافة الغربية قدرًا من الاهتمام مساوياً لقدر اهتمامها باللغة العربية. فما يشعر من كان هذا شأنه إلا وموارد التعبير الأجنبية تقفز إلى ذكره فكتسي بها وتنسى من قلمه إلى العلن، وهو بعد هذا لا يدוע أن يكون أحد شخصين: مدرك لهذا الاحتمال أو غافل عنه. فإن كان غافلاً داخل أسلوبه دخيلاً في المقال. وإن كان مدركاً كان أحد شخصين: صادق مع نفسه ومع الآخرين أو مستكير. فإن كان مستكيراً أتف من دفع كتابه إلى غيره ليضبط كلامه، وهذا يقع منه مثل ما يقع من الغافل. فإن كان صادقاً دفع الكتاب إلى غيره ليصلحة. وهذا الغير إنما أن يكون أصيبي من صاحبه فيحصل المراد، وإنما أن يكون

(11) نذكر بـان «المجمعي الكبير» لم ينزل في حرف الباء وما أنجز منه عرضة مطاعن لا عجل لذكرها هنا.

(12) وما يغير عن هذا الموقف قوله د. حليم بركات إنها لغة «متلقاة»، غلت فيها «الكتابية الأدبية على الكتابة العلمية وغلبت الخطابة على الكتابة»، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، 1984 ، ص 346. وهو قول يوافقه عليه هشام شرابي (البنية البطريركية، ص 82) وألويسين. على كل حال فهذا موقف كثيرون من يكتبون في هذه الأيام، حتى إنك إذا فرأت شيئاً ما يكتبه بعضهم تساءلت: ترى ما كان ضرره لم يضع ذلك بالعربية بل وضعه بالفرنسية أو الانكليزية لفهم منه ما يريد؟.

(13) ط حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، 1927 ، ص 7 – 8.

(14) واستعملها بدلاً من «خطاب» أو «مقال» لأنها أوفق بالمطلوب في نظرني.

(15) في النقد الأدبي، ص 128.

متاثراً كالأول بما ساد عربية هذا العصر من تخلط قيصلحه بما يعرف، وتأكل الحياة ذنبها، وتترسخ التغيرات في وجه العربية.

\* \* \*

### حدود المحاولة ومنهجها.

لا أزعم في هذه المحاولة استصانة آثار الترجمة كلها ولا أظن عملاً كهذا، إذا عمل، يحشر في حدود مقالة. وإن مقالة هذا موضوعها محكم عليها بالقصير عن بلوغ غاية المرام في كل ما تطرحه من مسائل، وحسبي منها أن أتوصل إلى صوغ بعض المسائل بالطريقة الصحيحة وأن المحج إلى غيرها. فكثرة ما طبع من كتب عربية مؤلفة أو مترجمة من أول القرن العشرين حتى اليوم تفرق ما يقدر أن يتناوله خلوق فرد ولو استعن بأكابر العقول الآلية وأطوطعها له على تحقيق مراده. فبالرائد بما طبع من صحف وبجلات ودوريات لا يعلم عذها إلا من وسع كل شيء علمياً. على أن هذا ليس مما يعيادونه فربين متضاداً الجهد منظم، يأخذ عينات مثلثة لائر فنون الكتابة العربية المصرية وفروعها وموضوعاتها ومستوياتها والوانها الأقلية أو حتى القطرية<sup>(16)</sup>، فيحلل مضامينها ويستخرج منها حل ما استجد.

وقد اخترت لصناعة هذا البحث عينة محددة جداً قاصرة عن حد التمثيل. وكان مما دفعني إلى استجابة هذا الاختيار شعور غامض بتأثر ما أقرأه، مما يكتب اليوم، عن معلم للكتابة أظن أنني أتذر على تخسيسها بالخدس هي على تسبتها بالخد ، وتقرب هذا الذي أقرأ ما يشد ظني بأن مصدره هذه العبارة أو تلك في الفرنسية أو الإنكليزية. وقد تصفحت مجمع غوتز شرجله الألماني العربي وتفحصته فيما استطعت اقتناه أثر لموارد التعبير الألمانية مثال لآخر تينك اللغتين. ولعل هذا المعجز يعزى إلى قلة بضاعتي من هذه اللغة، إذ لا أظن أن ثمة خططاً كبيرة في محاولة تناول هذا الآخر ورصده بين طيات مجام الماني عربي أو إنكليزي عربي أو سواهما، فإن عبارات مثل «بالرغم من كل شيء» أو «ليس فقط» أو «علمياً» أو «ذو أهمية حيوية»، أو «أجاب بالآيات» أو «باتجحة» هي مما يجده الطالب في الماجم الأجنبي العربية عادة. وعلى أيه حال فهذا لا يسغ الاكتفاء بهذا الصنف من الماجم وإن سوغ الاستعانته بها لتكوين ثبت أولي بالعبارات وموارد التعبير الأجنبية التي انتقلت إلى العربية. وهذا ما فعلته أول الأمر.

ثم إنني حاولت استكمال هذا الثبت بعبارات «سماعية»، أي من تلك التي تلزق بالحافظة من جراء المطالعة وإن عسر على الذاكرة استحضارها، وبمراجعة بعض مجام الأصطلاحات مثل مجمع الدبلوماسية والشؤون الدولية<sup>(17)</sup> ومعجم الأخطاء الشائعة<sup>(18)</sup> وقد كاد هذا الثبت يدوأه مثل المعمل (لا سيما أن الثاني يشير إلى أثر الترجمة أحياناً، ص: 21؛ «أثر على») لو أنهني لم أجده أن آداه كهذه تبين عدداً مقبولاً من الصيغ المقلولة لكنها لا تتحقق وقوفها فعلاً ولا تبين مطاعتها، بل ربما لم تكن إلا مؤشراً معيارياً لما يجب أن تكون عليه الترجمة. فكان لا بد من اختيار عينة استقي الشواهد منها.

لكن هذا الخيار، وإن كان أوفق بالغرض فإن دون تحقيقه صعوبات. منها صعوبة تحديد العربية المعاصرة، ومنها صعوبة تحديد عينة تغتري على جميع أصناف الكلام العربي المعاصر ومستوياته وبقية متعلقاته التي أشرت إليها؛ ومنها صعوبة تحويل عينة تحتوي على جميع أصناف الكلام العربي المعاصر ومستوياته وبقية متعلقاته التي أشرت إليها من قبل، ومنها صعوبة إثبات حجية العينة، أي صحة اختيار الشواهد منها وتراجع كونها ممثلة لسمات شخصيتها هذه المحاولة (في مكان لاحق) وتعدها في جملة سمات «البلاغة المعاصرة»، ومنها صعوبة اختيار نصوص العينة جيمعاً متساوية من حيث أثرها في تحريك هذه البلاغة، ومنها استحالة حصر الناشر بالكتب المترجمة لأن في ذلك حصراً للترجمة في النشاط المقصود بينما لا يقل أثر الترجمة غير المقصودة أو المغوفة، عن أثر الترجمة المقصودة في شيء. وقد اجتهدت عند اختيار الكتب المكونة لهذه العينة في مواجهة ما قدرت عليه من الصعوبات. وأنا مقرب بعد هذا بأنني لم أنته إلى علاج لكلها أو جلها. وهذا اخترت بطريقة شواهد عينة من الكتب المقاومة الأغراض في مجالات الفكر والعلوم الإنسانية والفقد الأدبي، ولم أدخل فيها إلا كتابين مترجمين اثنين لتكون الشواهد أولى على أثر الترجمة. وراعيت في اختياري توزيع مستويات الكلام قدر ما استطعت ولم أستبعد منها ما بدا لي دون غيره لأنني أرى أن استبعاد تأثيره حكم يحتاج إلى دليل وليس من غرضي الفصل فيه. على أنه استبعدت الكتابة الأبداعية والكتابة الصحفية. أما الأول فليس بهما صور التجانس والآخر خصوصية هذه الكتابة. فكلام الشعر ربما بدا «معاظماً» جداً متلزماً ببعود الشعر، أو «منارقاً» حين يتغرب حتى يخرج إلى اللغو في معظمها فلا ينطوي لأحد روايته ولا يصلح للخطاب. وقس عليه كلام القصة والرواية: فهو متanax بين إغراق الشعر وبين سلطة النثر الإعلامي. أما الكتابة الصحفية فربما كانت أولى بالفحص لأنها أولى ما تأثر بالترجمة، كما أشار محمد شرف، ولأنها الأدلة المبررة الأولى عن العربية الحية، ولأن أثرها في الكلام المعاصر لا ينكر لأساب قد المحت إلى طرف منها من قبل. ومع هذا فقد استبعدتها لأنها عرضة للمجلة

(16) ثمة نقاط عديدة من الكتابة الفصحى في بلاد العرب اليوم قد لا تضاهي اللهجات العامية كثرة ولكنها تقل عنها حضوراً ولا استحقاقاً لأن ترسد وتتوخذ في الحبان عند التفكير في أي عمل معجمي جدي.

(17) لسموري فرق العادة، بيروت مكتبة لبنان، 1974.

(18) لحمد العدناني، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1980.

والارتجال وتفقر الى التأمل والروبة اللذين تصدر عنها الكتب عادة، ولا تحتاج قراءتها الى مثل ما تحتاج إليه قراءة الكتب من هذين.

بقي على، بعدما بنت شروط اختيار العينة، أن أبين وظيفة الشواهد وشروط اختيارها. فالشواهد لا تدل على شيوخ اللغة أو العبارة أو طريقة التعبير، بل على ورودها في بعض نصوص العينة أو في الثبت الأولي. وقد استبعدت الشيوخ لأن الشيوخ ليس معياراً جيداً لاتساق اللغة إلى البلاغة المصرية. فهو أمر يصعب التحقق منه لأنها قد تقدم بعضها. وليس تحديد الشروط التي أخذت نفسياً بها في اختيار الشواهد بايسره منه تحقيقاً. إذ لا بد من معيار موضوعي للاختيار، وهذا يتلزمه تحديد نص إمام تقاس عليه نصوص متعددة الأصول والحقول والا اضطررت إلى اعتماد معيار ذاتي. وقد وجدت الواقع على مثل هذا النص متعدداً ولذلك سأجده صورياً آخر في توسيع معيار ذاتي ينطلق في مطالعتي المحدودة للنصوص القديمة وخبرتي المستجدة بأهميات كتب اللغة. وأصل هذه الصعوبة أن الباحث المستعين بهذا المعيار في هذه المحاولة ليس بربما من تأثير الترجمة في ملكه اللغوية ولا آمناً بالعار عند تسرب هذا التأثير إلى أحکامه، منها احتلال للتحكم بهذا الترسير وبالغ في الاحتياط له. ومع ذلك فقد رأيت اعتماد هذا المعيار رائدي في هذا الرأي: أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

الكلام عن «بلاغة عصرية» يصدر عن منظور تاريخي. وربما أوحى كلامي في متنهل هذه المحاولة بأنني سأتبع الأطوار التاريخية للتترجمة في القرن الحاضر لاقفي أثرها في البلاغة. إن افتقاء أثر كل طور من هذه الأطوار، بما ينطوي عليه من مذاهب أو علم وفنون أو كتب مهمة، أمر لا ينافي توجه البحث الحاضر بل يكمله فيما أظن. على أن ذلك مما تضيق عنه مقالة أياً. ولا أحب أن عملاً كهذا تقتصر فائدته على إثبات الفضول العلمي، بل إنه في ذاته مطلوب جداً لصناعة معجم تاصيل للغة العربية سواء قيدها بالمعاصرة أو أطلقها. لذلك سأقارب أثر الترجمة من منظور تكفيبي إذا جاز لي أن أسميه بهذا الاسم. أي أنني سأتناول هذا الآخر من حيث السبب والمصدر والمآل.

### السبب: سلوك المترجمين.

قد تقدمت الاشارة الى الظروف التي أحاطت بعملهم وأبدأ هنا من اعتراف صريح يقدم به هشام شرابي لكتابه «مقدمات لدراسة المجتمع العربي»، يقول «كنت حتى سنتين خلت لا اكتب إلا بالإنكليزية ولا استطيع التفكير إلا بها». وإذا صدف أن كتبت مقالاً في العربية كنت أهرع إلى أحد قاتلي المتكلمين من العرب طالباً لهم تصحيح لغتي وأسلولي»<sup>(19)</sup>. أظن هذا الكاتب ينطق بلسان كثير من المتكلمين العرب الذين يشعرون بالخرج نفسه، وأظن أيضاً أن قليلاً منهم يملكون حذوه في الاعتراف بالقصير. إذ إن أول ما يسم سلوك المترجمين (وأذكر هنا بانياً أعني بهذا تلك الفتنة من المتكلمين العرب الذين يتربجون عمداً أو من حيث لا يدركون) هو الاستكبار. ويلزم عن موقف الاستكبار هذا لوازم أهله:

#### ١ - الثانق والرغبة في التغيير.

#### ● من ذلك قول جورج قرم أو جورج طرابيشي (؟):

«عاء في النظر» وعن عياه بالنسبة الى الثنائي، (انفجار المشرق، ص 8، 193). وقد سبقه الى ذلك ميخائيل نعيمة بقوله: «[جبران] يجعلنا نضحك من جهلهنا ونسخر بعما نشاهده». (الغريب، ص 144). والعاي، لغة، غير ما يقصدون والمعنى أسهل وأوضح وأدق وأوسع بالغرض وقد وردت في القرآن في سورة فصلت (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا المعنى على المدى).

● ومن ذلك قول قرم: «تعرضت السيطرة العربية للتهديد من جانب الأقوام المفتوحة»، (انفجار المشرق، ص 210) والأغلب أن أصلها peuples conquis. وهذا تختلف في الثنق فالفتح يقع على البلاد لا على الأقوام مع أن المفتوحة أصح وأناصر وقد وردت مذكورة في القرآن في سورة الفجر: «لقد دعا [نوح] ربُّه إِيَّه مغلوب فانتصرا».

● ومن قول د. عبد المحسن طه بدر: «... لا يمكنها أن تلقى ضوءاً على طريقتنا في مثل هذه الدراسة، وخاصة وأن واحداً لم يتعرض بالدراسة...» (تطور الرواية، ص 9) وأصلها especially that والمقصود: لأن واحداً لم يتعرض.

● ومنه قوله: «غير أن الباحث يجد نفسه مضطراً إلى اللجوء إلى خصر بحثه» (المصدر نفسه، ص 6) وأصلها Forced to resort to والمقصود: مضطراً إليه.

● ومنه قول انطوان خوري: «... وينتكر بالتألي لكل محاولات التجريد والمطلقة» (وعي الوعي، ص 87) وكأنه بأشداتها Absolutisation والمقصود: الاطلاق، مع وجود فعل ومصدر يؤديان المعنى.

● ومنه قول د. مني حبيب ود. قاسم شعبان: «وكان أن تم اختيار المناهج... ولقد تم انجاز هذين المدفرين».

وقد تم انجاز وضع البرامج، وبنشر بتأليف الكتب» (تدريس اللغة، ص 6، 96)

والألغلب أن تم ترجمة لفعل الكون الانكليزي *were* المستعمل عادة لافادة صيغة المجهول التي تظهر في قول الكاتبين: «بושر». واظن ان انجز مثلها  
لم ثان ولكن المهى غلابا.

2 - الاكتفاء بالخدس اللغوي من دون الرجوع الى المعاجم للاستئناس بها.

● من ذلك قول جورج قرم أو جورج طرابيشي:

(تسيم خسماً المواطن المحروم أصلاً من الحرية السياسية، (انفجار المشرق، ص 204) لست متيقناً من الاصل الفرنسي لأنني لم أره. ولكنني أظن ان  
المترجم لو تكفل مراجعة معجم فرنسي عربي لوحده: «يسومه خسماً، وإلا فشيئاً أبسط وأفضل».

● ومن ذلك قوله: «الخمسة القومية التي أولع شرارتها نايم قناته السويسرية» (انفجار المشرق، ص 222).

والقول على المترجم في هذا أشد من القول عليه في ما ركبته عندما استدعي قول الامام علي «وسيم الحسف ومن النصف» وزرّه في غير منزلته. فإن  
له بعض العذر في قوله «سيم»، ثثلاً بالفصيح بينما الماكيراة في وضع «أولع»، موضع أوري (أو اشعل أو أي شيء من هذا القبيل) استزلت صاحبها وحله  
على التعبير بلغة العامة مع القدرة على اجتنابه ومع وجود البديل الفصيح.

3 - عدم الالتفات الى الدلالات الأصلية للكلمات عند إضفاء دلالة جديدة عليها والامتناع عن التنبية على الفرق.

● فمتهن قول د. خليل أحد خليل: «إلى جانب هذه التحولات الاسطورية الطارئة في المعرق الزراعي، ظهرت مشهديةات واحتفاليات أسطورية  
أخرى». (مضمون الاسطورة، ص 25).

المقصود: Spectacles et cérémoniel

والمعلوم أن الكلمة «مشهديةات»، مدلولاً شائعاً عند شيعة لبنان: وهو القصائد التأببية أو المراثي التي تقرأ باللهجة العراقية على مشاهد الائمة ولا  
سيما مشهد الامام الحسين.

● ومن ذلك قول انطوان خوري: «هذا الشارك في تحرير الفعل بين دفع الارادة فاعلياً للعقل واجتناب العقل غالباً للارادة، هذا الذي يبدو  
ضربياً من الاختداء السبرتي بين العقل والارادة قد يظهر للبعض، من وجهة نظر الاقتصاد الطبيعي، اسراها في المجهود وأكثر عرضة للانكسار  
والتضارب والقصبة من الاجتناب المتبادل، مثلًا، أو الدفع المتكافئ» (وعي الوعي، ص 85).

الاقتصاد الطبيعي *Economie naturelle* ولكن المقصود بالاقتصاد هنا ليس أول ما يبادر الى ذهن القاريء من دلالة هذه الكلمة، بل دلالة لا سيل  
إليها عند الناطقين بالضاد وهي: هيئة النظام الذي يتنظم عناصر كل مخصوص، أو العلاقات القائمة بين أجزاء نسق معين.

● ومن ذلك قول عبد الوهاب عبيد: «فالادلة حيثـنـ كثـيرـةـ . . . ، فالتربيـةـ حـيـثـنـ صـالـحةـ . . . » (كتاب الجغرافيا التونسي للأول ثانوي مهني، ص  
3، ص 20) والمقصود... Les preuves sont alors ، أي : إذن.

● ومن ذلك قوله أيضاً: «... وهو ما حتم تعریضها» (المصدر نفسه، ص 90). والمقصود فيها اظن... ce qui a nécessité أي أوجب تعریضها.

#### 4 - سوء الترجمة

● ومن ذلك قول د. أحد علي الفيتشر: «من الواضح إذن أن المتعلم يستطيع أن يسلط الضوء على الظواهر ويخطط، ويطبق، ويدرك العلاقات  
بين الوسائل والهياكل» (التربية الاستقصائية، ص 129). والمقصود *mears and ends* أي الوسائل والغايات.

● ومنه قول د. خليل أحد خليل: «بوجه عام، ترمي كل اسطورة الى اظهار قوة غبية، غير موضوعية أو فعلية خارقة لمجموع قوى البشر وتتجسد  
في ارادة أو في إرادات خارجية ومتجلوبة للشرط البشري وامكاناته» (مضمون الاسطورة، ص 86).

والمقصود *condition humaine*; أي الوضع البشري أو حال البشرية.

● ومنه قول د. توما جورج خوري: «وبحسب الآتجاه الثالث يمكن للشخص أن يؤكّد على الاهمية الكبيرة لكل من الطبيعة والغذاء» (الدراسات  
الاجتماعية، ص 25).

القصور المتقابلين: Nature - Nurture. ومن نكح الحظ أن الكلمة الانكليزية الثانية تعني «تربيه» كما تعني «غذاء».

<sup>5</sup> تجاهما، حظوظ القارئ، الحقيقة في فهم المراد وـ، اضن أن كل ما يكتب بالعربية عربي.

- من ذلك قول جورج قرم أو جورج طرابيشي: «برز على نحو متعاظم هاجس العودة الى الاصولية المؤتمثة لاسلام الازمة الاول» (انفجار الشرق، ص 219).

أظن أن المقصود ترجمة *idéalisée* وكان به يريد أن يقول: العودة إلى تصور مثالي لأصولية الإسلام في أزمه الأولى.

● ومنه قول د. انطوان خوري: «فإن مفهوم ديكارت للحكم بصفة مجرد من المعرفة أو منعها يبدو مفهوماً يتسم بطابع استهلاكي تسلل إلى حداة الفلسفة عنده عبر جذوره الوسيطية المترسخة في رؤوسية المفارقة الميتافيزيقية». (وعي الرعي، ص 49).

نكيف يعرف القارئ، أن الوسيط المقصود هنا لا يحمل على حسب دلاته على أحد عصر التاريخ؟ ترى ما كان ضر الكاتب لو قال: غير جذور ممتدة في العصر الوسيط ومترسخة في روحية المقارنة؟

● ومنه قول طارق البشري: «وعالج الجوانب المختلفة للانهاء العربي لمصر من زاوية الامن القومي لها» (الاطار التاريخي، ص 91) والمقصود: لانهاء مصر العربي من زاوية امنها... .

ومنه قول وضاح شارة: «فالتجدد يستمد رواهه وقواته من توالي النافخين في الطين كما تستمر المدففة في عملية «تحريك الدلالات»، عند هوسن». (في أصول لبنان، ص 17).

الروا والدلائل كلعنان عربيان نزلنا في غير منزلتها، ولكن ما لنا ولها؟ للنظر الى المدفأة، فالملصود منها، والله أعلم، Intentionnalité. ولكن Intention يقابلها القصد او النية في العربية، لا المدفأة. ولترك هذا أيضًا لنسال سؤالاً ساذجاً: هل يجب على قارئه كتاب في أصول لبنان الطائفي أن «يجالس رسطقليس والاسكندراء» ويلم بتاريخ الفلسفة من بروتانا غوراس حق جان بول سارتر ليدرك مغزى إيماءات الكاتب ويفهم منه ما يريد؟ يدرو أن وجوب ذلك يتزايد يوماً بعد يوم، وما تقصص الأيام والدهر ينقد.

اما السمة الثانية من سمات سلوك المترجين فهو ضعف ملكة النقد وما يلزم عنها من لوازم اهتماها:

١- الاضطراب في منهج وضع المقابلات الاجنبية في النص العربي وما يلابسه من لغو وتفصير. سأحاول تبيان ذلك عند كل كاتب على حدة ليكون هذا أدل على المراد.

○ فمن اللغو وضع د. توما جورج خوري

## احتياجات الشباب: .Needs of youth

. Maturity : الاضمحلال

<sup>156</sup> (الدراسات الاجتماعية، ص 125).

فإن هذه المقابلات إذا كانت موجهة حقاً إلى شخص يعرف الانكليزية فمن المتعذر أن يجهل ما يقابل كلمات على هذه البساطة لا تنظر إلى أي منهم اصطلاحاً زائد عن الدلالة اللغوية.

● ومن التقصير، تركه مصطلح: «المجاه المحوري» (الدراسات الاجتماعية، ص 142) ومصطلح: اختبار المطابقة (المصدر نفسه، ص 227) دون ما يقابلها في الانكليزية مع فائدة وضم ذلك.

● ومن اللغز قول د. علي زيمور: «... دون تطهير وترويض وتدجين وما إلى ذلك من سيرورات تعلمية تصلح في ميدان التعلم (Learning) (Apprentissage) ( التربية وعلم نفس الولد ، ص 211) والقول عليه كالقول على اللغو الذي قبله . ولا أرى مأخذًا على الكاتب في التعمير لأنه صرّ بالاجهاد في التقليل من المصطلحات الأجنبية في كتابه (المصدر نفسه ، ص 29) .

● ومن اللغو قول د. أحمد الفيش:

**تحليل Analysis:** (التربية الاستقصائية، ص 133) ومن التصريح قوله: «... نشير إلى البسطرة التي كانت لعلم نفس الملكات على التفكير التربوي» (التربية الاستقصائية، ص 46) علم نفس الملكات؟.

## 2 - الغفلة عن احتياج اللغة العربية إلى ما ينقل إليها .

ولست أزعم ان اللغة العربية مكتفية بما فيها من موارد التعبير، مستوفية عما سواها. فإن النطلل إلى ما يعنيها مطلوب جداً، والنظر في الحاجة إليه واجب وفي بعض ما أشرت إليه سابقاً ( خاصة وإن المطلقة، حتم، المؤمثة) شيء من هذا العيب.

● ومنه قول د. عبد الحسن طه بدر: «وفي الوقت الذي كانت الحضارة العربية فيه قد وصلت إلى ...» (تطور الرواية، ص 14) وكلمة بينما مغنية عن هذا الطويل.

● ومنه قول هشام شرابي: «لأن المناقشة والمعارضة في إطار كهذه لا يمكن القيام بها إلا بشكل سري أو بعيداً عن سمع السلطة». (البيبة البطركية، ص 83).

وقولنا: «سرأه مشاكل لقولنا: بعيداً .

● ومنه قول يوسف الشaroni: «... يخلله أبيات من الشعر من حين لأخر» (القصة القصيرة، ص 9). وأبسط منه وأختصر كلمة: أحياناً.

● ومن جربان كلمة أكثر، نقلأً عن الفرنسية. مثاله قول أدونيس: «... وكيف أن الدراسات القرآنية توفر المصادر الأكثـر أهمـية لدراسة شعرية اللغة العربية» (الشعرية العربية، ص 51).

وقوله أيضاً: «في شعره البداية الأكثر غنى...» (المصدر نفسه، ص 52).

وقوله أيضاً: «هل يمكن أن يكون الحديث أكثر جمالاً...» (المصدر نفسه، ص 54).

قلت: ترى لم لا يتساءل الكاتب ما سر جمال كلمة «أكثر»، وغناها وأهميتها؟ ليست على وزن أفعل مثلها مثل أهم وأغنى وأجمل؟ لقد أخذ الانكليز عن الفرنسي الشيء، الكثير، ولكنهم ما فكروا حتى اليوم في قول more bigger لأن تكفي، ومثلها الصوغ من أفعال. إلا أن يكون أصل المفضل من مصادر الثلاثي المزيد أو الرباعي، فعندئذ يكون قولهنا أكثر تسلطاً أو استعداداً أو افتتاحاً أو ارتباطاً، أسوأ.

ثالثة السمات في سلوك المترجمين هي توهם التماطيق بين بني اللغات، ويلزم عنه:

## 1 - الخلط بين صحة تركيب الجملة وبين موافقتها لأصول البلاغة العربية.

● ومنه قول ميخائيل نعيمة: «وفي الحالتين تجرون باختياركم حسب ستن طبيعية ليس لي ولا لكم فوقها أقل سلطة» (الغريال، ص 81).

● ومنه قول ساطع الحصري: «إن الإنسان يجب أmente - تحت تأثير التزعة القومية - ويشعر...» (آراء وأحاديث، ص 14).

● ومنه قول د. مطاع صندي: «ولعل القاريء يتتجاوز عنها يمكن أن ينقض هذا الكتاب وما قد يقع فيه من بعض المحنات».

وقوله: «ثم إن صعوبة أخرى تقوم في وجه كل عاورة لاعظاء تعريف واحد هاتي للفلسفة» (الحرية والوجود، ص 9.7).

● ومنه قول يوسف الشaroni: «... وذلك أشبه - مرة أخرى - بالقصة الرواية» (القصة القصيرة ، ص 19) .

● ومنه قول د. ناصيف نصار: «وكانه فقط تمهد للإسلام» (مفهوم الأمة، ص 59).

● ومنه قول جورج قرم: «العداء النابع من الاحباط للغرب» (انفجار المشرق، ص 8).

● ومنه قول طارق البشري: «وقد صيغ الاطار الجامعي الواحد للمصريين، وبين ما سمي بالحادي عشرية الأمة، صيغ وبين على أساس مبدأ المساواة التامة...» (الاطار التاريخي، ص 90).

## 2- اختلاف مشكلات لا أصل لها ومحاولة حلها:

● من ذلك قول د. أحد الفتىـش: «وحـتى تـزيلـ الفـمـوضـ الذيـ يـكتـتفـ بـصـطـلحـ التـدرـيسـ، فإـنهـ منـ الضـرـوريـ أنـ نـفهمـ أنـ مـصـطـلحـ (التـدرـيسـ) يمكنـ أنـ يـستـعملـ بـطـرقـ مـخـلـفةـ وـأنـ يـكونـ لهـ معـانـيـ وـمـفـاهـيمـ مـبـابـةـ».

أولاً: لقد استعمل (التدرـيسـ) بـعـنـ الشـيءـ المـتـعـلـمـ مثلـ التـعلـيمـ Doctrine (أوـ العـقـيدةـ كـتـعـالـيمـ الـكـنيـسـةـ). (التـربيةـ الـاسـتـصـاصـيـةـ، ص 103) .

ليس للتدريس المعنى الذي ينسبة إليه الكاتب ولا داعي لازالة الفموض. لأن أصل المشكلة في اللغة الأجنبية لا في العربية. إذ يقال في الانكليزية

L'enseignement de l'Eglis L'Eglise وفي الفرنسية Teaching of Christ

- 3 - الترجمة الحرفيّة، والترافق ضرورة التبديد بينية الأصل الصرفية أو بوضمه النحوي .
- من ذلك قول د. انطوان خوري : «هذا، كما يبدو، تلتفي عقرية اللغة العربية مع ما جاء في قصة...» (وعي الوعي ، ص 62). وليس للعربية عقرية بمعنى المقابل الفرنسي الذي تعرّف عنه هذه الكلمة وهو *Génie*.
  - ومن ذلك قول نعيمة : «موضع حيوي» (الغربال، ص 29) ولا خير في ترجمة *Vital* المنسوبة بصفة منسوبة. ولكن الحال تغير في الشواعد التالية :
  - قوله شبابي : تحولت إلى شخص أفضل من الشخص الذي كتبه. (مندلت، ص 17) : *I were*.
  - قوله نعيمة : «وأنا أتجاسر أن اعتقد...» (الغربال ص 32) *I dare to believe*
  - قوله د. ثروت الإسيوطى : «إذ ذاك ينكشف تلقائيًا جوهر النظام الاقتصادي للإسلام» (الاسلام والملكية، ص 8) *Spontaneously*
  - قوله ماطع الخصري : «وإذا ما انتقلت مقاطعة من مقاطعات من مملكة إلى أخرى مثل هذه الآساب - كان يصبح من الواجب على أهل المقاطعة...» (آراء وأحاديث ، ص 32) *It became, il devenait*
  - قوله د. عبد المحسن طه بدر : «وكان من الطبيعي نتيجة لذلك...» (تطور الرواية ص 8) *as a Result of*.
  - قوله مطاع صندي : «ودعا بشكل لم يسبقه مثله إلى...» (الحرية والرجود، ص 173).
  - قوله د. علي زيمور : «ويوضح ابن سحنون أن الآية عنده من تعلم القرآن وتعلمه هي الغاية عينها التي حددتها النبي، ثم لأن القرآن حتّى ذلك في الكثير من الآيات» (التربية وعلم نفس الولد، ص 82) *et puis parce que*
- إن من شروط الترجمة نقل دلالة الأصل في استعمال مخصوص (وفي سياق مخصوص أحياناً) وتأديتها بالعربية بما لا صول البلاغة العربية المتعارفة فيها ومن غير التفات إلى خصائص الأصل الأجنبي الصرفية أو التحورية غير المؤثرة في دلالته (مثل كون الشمس مؤنثة بالعربية مذكورة بالفرنسية). ومن شرط التعرّيف البقاء على بنية المعرفة الأصلية وتقها إلى العربية مع ما يناسب لفظ العربية من تحويل. فلم تلزم الترجمة بأصول التعرّيف والبون بين الآيتين واسع، وما يلزم عن ذلك من تعقيد العبارة وقلّتها واضح؟.
- أود أن أذكر تعقيباً على هذا أن المفلاسفة العرب القدماء كانوا يستخدمون تعقيد الكلام أملأ في أن يصرف الإبهام من لم يكن أهلاً للحكمة والمعرفة عن قراءة ما يكتبون. إن رأينا كهذا يعذر إذا صدر عن قوم يجاهرون بانتهاهم إلى الخاصة وغير موصون على إبقاء معارفهم وفقاً على استراتيجية فكرية تظل مدينة القاريء الفاضلة مثلاً الأعلى. ولكن نظير هذا الرأي لا يعذر إذا صدر عن مثقفين يجاهرون بضرورة ازالة المعرفة إلى ساحة السوق ويعقدون على انتشارها أملاً ديمقراطية غامضة.
- المصادر .
- سانكلم هنا على ما قد ينسب إليه الآثر من لغة أجنبية أو نوع من أنواع الكلام الأجنبي . فقد نجد في كتابة كاتب معين آثراً نوعياً للترجمة عن الفرنسي أو الانكليزية وكذلك آثر منذهب علمي أو فني أو فلسفى . وقد تجتمع كل هذه الآثار في كتابة كاتب واحد أو تفرق في كتابات عدة كتاب . فما يعني هنا هو الاشارة إلى تحقق هذا الآثر حينها بتحقق من دون أن يقرون ذلك دليلاً على شيء، لأن حكم الشروع أمر قئت البراءة من البت فيه .
- ولئن كنت أظن ظناً قوياً بأن سائر فنون الكلام والكتابية العربيين وسائل مستوياتها واختصاصاتها وفي سائر الأقطار العربية؛ وقد تأثرت بالترجمة تأثيراً ما، دُقّ أو جُلّ، فإن ما سأقوله هنا لا يبعد الإشارة إلى اتجاه ممكّن في تقصي بعض الآثار النوعية . ولا بدّلي من التبيّن إلى حدود هذه «الإشارة»، أيضاً، إذ أنه من الممكن تقصي الآثر النوعي من حيث توزعه الجغرافي (أي بحسب البلد الذي ترجم فيه الكتابات الأجنبية). لا من حيث أصله اللغوي أو الفنـي (باواسع ما تحتمله الكلمة من معنى) فحسب.
- 1 - الآثر النوعي للفرنسية و يمكن رصده في مجال اضفاء دلالة مستحدثة على كلمة معروفة مثل «وسط» *Milieu* التي نجد نعيمة يشير منذ 1923 إلى استعمالها (الغربال، ص 82) بمعنى البيئة، والتي نجدتها أيضاً في قول اسماعيل مظہر: «فالكاتب من المؤمنين بأن الوسط يغير الأخلاق» (في النقد الأدبي، 18)
- كما يمكن رصد هذا الآثر في عبارات مثل :
- avant tout = قبل كل شيء

ثم ولأن et puis parce que =

- أو في الكلمة «ماء ce qui»، التي يدو أنها اختصار لعبارة: «وهذا من الأمور التي...». كما في قول يوسف الشاروني: «... بعد أن يستدعي خبراته الخاصة وذكرياته مما يجعل الصورة النهاية...» (القصة القصيرة، ص 17).
- أو في بناء أفعال تفضيل بالإضافة كلمة «أكثر» كما تقدمت الاشارة اليه. وهي ترجمة: plus + adjetif.
- 2 - الأثر النوعي للإنكليزية: وقد نجد في عبارة « خاصة وأن».
- وكذلك في عبارات مثل: «كل ما هنالك» في قول الشاروني: «كل ما هنالك أنها تغير من ثوابها...» (القصة القصيرة، ص 8).
  - في عبارة «نتيجة له»: as a result of
  - في جملة مثل قول الشاروني: «بعض النظر عن وجود أو عدم وجود منفعة مباشرة» (القصة القصيرة، ص 8) وهي ترجمة: regardless of the existence or the inexistence of...
- في قول هشام شرابي: «من هنا كانت الضرورة ملحة للقيام...» (البنية البطركية، ص 10) Hence.
- 3 - أثر نوعي تبعاً للكلام: والمقصود كلام علم من العلوم أو فن من الفنون أو مذهب من المذاهب التي انتشرت أو سادت في الغرب منذ بداية الترجمة أو قبل بدايتها ولم تزل تتوالى. وأحسب أن تقصي هذه الآثار تبعاً لسلسل أصولها التاريخي أمر ممكن ومفيد، وإن كان يتجاوز نطاق هذه المحاولة.
  - أ - الماركسية: طبقاً، جديلاً.
  - ب - التحليل النفسي: لا شعورياً.
  - ج - نظرية التطور: «تنازع البقاء وبقاء الأصلح» (كتاب التاريخ التونسي، ص 10)
  - د - الاقتصاد: للاستهلاك المحلي، الطلب على (الدولار).
  - هـ - الاحصاء: ذو دلالة ، كما في قوله: مؤشر ذو دلالة.
  - و - الرياضة: سجل هدفاً، رقمياً قياسياً.
  - ز - الفنون العسكرية: ساعة الصفر، العلم الأبيض.
- ح - التيارات الجديدة في العلوم الاجتماعية، ماركسوي، «بعض الجماعات الدينية الاسلامية» (انفجار المشرق، ص 204) «ينكيمون بصدمة الغرب الحديثة» (الشعرية العربية، ص 84).

## - المال:

وأعني به الوجه المخصوص الذي تأثرت به أدوات التعبير وطريقه. من ذلك:

- 1 - الأثر في الأحوال الصرفية للكلمة.
- أ - النسبة بالواو والباء: ماركسوي، اسلاموي، حداثوي.
- ب - اشتقاق اسماء من أعلام أجنبية: فرنسة البلاد، قبرصنة لبنان، سياسة التريليك؛ «التيلرة Taylorism» (كتاب التاريخ التونسي، ص 19).
- ج - اشتقاق أفعال من أسماء على وزن مفعول: تحرّك؛ تحور؛ «تمفصل اشكالية الموية العربية...» (انفجار المشرق، ص 220).
- د - اشتقاق مصادر صناعية على وزن أفعال: افضلية، أهمية، أقلية، أكثرية.
- هـ - الابقاء على اسمية الاسم التسوب: الارهابي، اليومي و فهو في الواقع لم يعرف منها إلا الشائع واليومي، (الحرية والوجود، ص 6).
- و - تكاثر المصادر الصناعية: الاشكالية، الشعرية (عنوان كتاب أدونيس).

<sup>(27)</sup> ز- تude de l'impact des échanges culturels entre la Tunisie et l'Europe au cours du Moyen Age, p. 10.

## ٢ - أثر في استعمال الكلمة:

- ١ - حول : « لافائدة من الافتراض بالشرح حول عما ينطوي عليه المفهوم » (انفجار المشرق، ص 200).

ب - وانظر أيضاً ما مرت الاشارة إليه من استعمال حيـثـة ؟ لي فوقها سلطة ؟ تحت تأثير ؟ خاصة وأن ؛ الشخص الذي كتبه.

٣ - أثر في نحو العبارة :

  - ١ - التمييز بالاسم النسوب : تلقائيًا، جدلياً، اجتماعياً، اقتصادياً.
  - ب - التمييز بجملة أو بشهادة : « دادعاً بشكل لم يسبق مثله إلى ذلك .. » (الحرية والوجود، ص 173). وهذا على الأقل ما يبدو لنا حين نلاحظ الطفل وهو ينصلح إلى قصص جدته بشغف وترقب وربما بقلق، وأحياناً برعبه (القصة القصيرة ص 20).
  - ج - ادخال حروف العطف بعضها على بعض: ثم ولأن.
  - د - ادخال كان على أصبح: كان يصبح.
  - ه - الاضافة بحرف: الطلب على الدولار، كشف بالحساب.
  - و - تأخير ضمير المتكلم: «لن أنسى الساعات التي أمضيناها سوية طلابي وأنا في البحث...» (مقدمات، ص 9).
  - ز - كثرة استعمال لام التخصيص: «تطورات الملاحة نتيجة للتقدم العلمي (كتاب التاريخ التونسي، ص 15). «ليتملقوه ويكليلوا له الثناء وبيزودوه بالأدوات المفهومية لخطابه» (انفجار المشرق، ص 20).
  - ح - تأخير ربما عن الفعل: «إن العجز عن احداث الفطبعة... كان ربما نتيجة» (البنية البطركية، ص 86).

٤ - أثر في البيان

  - ١ - ميل إلى الاطنان: مرت الاشارة إلى «في الوقت الذي فيه»، مضطراً إلى اللجوء إلى «، «تم إنجاز وضع البرامج»، «من حين آخر».
  - ب - تشوش المقال: «العداء النابع من الاحتياط للغرب» (انفجار المشرق ص 8) والمقصود : عداء للغرب نابع من الاحتياط.
  - ومنه قول طارق البشري : «وحافظت الحركة الوطنية التصدي لها بفهم غير محدد ولكنه نافع عن وحدة وادي النيل» (الاطار التاريخي، ص 89).
  - وتشبيه للفائدة راجع ما تقدمت الاشارة إليه عن سوء الترجمة؛ وتجاهل حفظ القراء الحقيقة في فهم المراد وافتراض أن كل ما يكتب بالعربية عربى فإن له مدخلاته وجوانبه في هذا الباب.

خاتمة

أعود هنا إلى المنظور التارخي الذي تصدر عنه هذه المحاولة لأطرح سؤالين. السؤال الأول: ما شكل الخطابي المغير عن آخر الترجمة في البلاغة إذا مثلنا الزمن ومقدار الآخر بخطين احداثيين؟ هل هو خط صاعد يناسب طرداً مع التقدم على حور الزمن؟ أم أنه يتبع (أو اتهى) فعلاً إلى ما يسميه الأحصائيون «هضبة»؟ أي: هل سيظل هذا الآخر في تزايد كمٍ مستمراً أم أنه وصل إلى الاشباع أو سيصل إليه؟

لست واثقاً من معرفة الجواب عن هذا السؤال، ولكنني أتمنى مستوى، من مستويات الكلام الفصيح، مضطرباً إذا قيس بمعايير البلاغة الكلاسيكية التي لا يقتيد بها، وغير متصل بالكتابات الأدبية العصرية لم تتمكن بتمامها بعد (أو قل إنني لا استطيع تبيان معالمها). ولكنه مستوى آخر في الاستقرار منذ حوالي ربع قرن، إذ نجد الكثير من معالمه في معجم هائزفير الذي صدر للمرة الأولى بالألمانية سنة 1961: إنه المستوى «الصحفى». وقد أثرت استعمال لفظ «المستوى» على استعمال ما سبق اليابزجي إلى وصفه «بلغة الجرائد». فهذا الوصف رجأ أنطرو على معنى اختصاص هذه اللغة بالجرائد، للدلالة لفظ اللغة على الكلام المصطلح عليه في جماعة مخصوصة، وقد وجدها هذا المستوى شائعاً في نصوص هذه العينة وما منها نص صحفي واحد بالمعنى المتعارف.

ولا اسم، ماتسته «مقالاً صحيفياً» كما يُعلم، هنام شاهي إذ يقسم ما يكتب بالعربية اليوم الى نوعين من «المقال» (وأنا أفضل تسمية «كلام»)؛ قال